التشكيل الفني في مجموعة أبواب الليل / لعبد الرحيم صالح الرحيم
Artistic Formatic in the Night Doors Collection/by Abdul Rahim Salim Al Rahim

أ.د. ياسر علي عبد الخالدي
أستاذ
كلية الآداب ــ جامعة القادسية

Dr. Yasser Ail Abdul Khalidi
Professor
College of Arts-Al-Qadisiyah University

Yasser.abed@qu.eduiq

الكلمات المفتاحية: التشكيل، اللغة، الصورة، الاسلوب، الأسطورة

Keywords: formation, language, image, style, myth

ملخص البحث:

التشكيل الفني هو عملية التماسك والتداخل بين العناصر المختلفة التي أصبحت فيما بعد وحدة واحدة لا تتجزأ، إذ إنَّها كوّنت هيكلًا جديدًا فقدت أجزاؤه فرديتها ومعناها وأصبحت تمثل الشكل الجديد التي غدت جزءًا لاينفصل عنه.

فالشاعر يقوم بعملية التشكيل الفني كما يقوم الرسام بتشكيل لوحاته عن طريق الخطوط والألوان وهذا البحث هو محاولة لدراسة مجموعة (أبواب الليل الشعرية للشاعر عبد الرحيم صالح الرحيم) وهو شاعر عراقيّ من جيل التسعينات.

لقد انقسم البحث إلى مهاد نظري تمَّ التنظير فيه للتشكيل الفني، ومحاولة الربط بين ما يكون للتشكيل الفني في الرسم والشعر فمثلما الرسام يستعمل أدواته في اللوحة الفنية كذلك الشاعر يستعمل ألفاظ اللغة كأداة للتشكيل الشعري، إذ إنّ المادة الشعرية هي صور قد تمَّ تشكيلها من قبل مبدع .

أمّا المهاد التطبيقي فهو يشتمل على التشكيل الفني للمعجم الشعري في مجموعة أبواب الليل وكذلك الأساليب، فضلًا عن مصادر الصورة، وقد خُتم البحث بخاتمة لأهم النتائج .

Research summary :

Artistic formation is the process of cohesion and intermingling between the different elements that later became a single, indivisible unit, as they formed a new structure whose parts lost their individuality and meaning and became a representation of the new form that became an inseparable part of it .

The poet performs the process of artistic formation as the painter forms his paintings through lines and colors, but the process of formation in the literary field remains difficult, complex and mysterious; This is because the term is borrowed from the field of plastic arts first, and because its movement in the field of language is ambiguous, broad, intertwined and intertwined and has no clear boundaries second.

This research is an attempt to study the collection (Poetic Doors of the Night) by the poet Abdul Rahim Saleh Al-Rahim, an Iraqi poet from the nineties generation and a retired professor from Al-Qadisiyah University. The research was divided into a theoretical foundation in which theorization of artistic formation was carried out linguistically and technically, and an attempt was made to link what is for artistic formation in drawing and poetry. Just as the painter uses his tools in the artistic painting, the poet also uses the words of the language as a tool for poetic formation, since the poetic material is images that have been formed by a creator.

As for the applied foundation, it includes the artistic formation of the poetic lexicon in the collection of Doors of the Night, as well as the methods, in addition to the sources of the image and its patterns, then the formation by rhythm. The research was concluded with a conclusion of the most important results.

أولًا: المهاد النظري

التشكيل الفني:

لا شكَّ أنَّ الشعر واحدٌ من العلوم المعرفية الجميلة، وهو قد يقترب من اللوحة الفنية سواء كانت رسمًا أو نحتًا أو غيره، فالمشترك بينهما فضلًا عن الجمال والتصوير هو الترابط بين أجزاء كلّ منهما فمثلما تكون اللوحة مترابطة الأجزاء فإنّ القصيدة هي الأخرى مكونة من أجزاء تتناغم فيما بينها، ويُعد التشكيل الفني المصطلح الذي يعبّر عن ذلك التماسك والترابط فهو مصطلح مستعار من الرسم وبقية الفنون التشكيلية، وهو عملية تداخل بين العناصر المختلفة التي أصبحت فيما بعد وحدة واحدة لاتتجزأ إذ أنّها أصبحت هيكلًا جديدًا فقدت أجزاؤه فرديتها ومعناها وأصبحت تمثل الشكل الجديد التي غدت جزءًا لا ينفصل عنه(ينظر: بدوي،١٩٩١م،١٤٨)، فمثلما يشكل الفنان لوحته بالخطوط والألوان ليخلق لنا شكلًا جديدًا لم يكن موجودًا، فإنّ الشاعر يلجأ إلى ألفاظ اللغة لتكون أداة للتشكيل الشعري إذ أنَّ مهمة الشاعر تكمن في إبداع القصيدة عن طريق الألفاظ، فخصوصية التشكيل اللغوي هي من تصنع التعبير اللغوي وليس اللغة نفسها(ينظر: إسماعيل، (د. ت)،٤٩) فالقصيدة كائن حيّ يشبه إلى حدّ ما

شخصية الإنسان، فكما أنّ لكل شخص سماته الخاصة به فإنّ للقصيدة تجربة فردية خيالية يقوم الشاعر بتأليفها بكلّ أمانة ودقة محتملة(ينظر: إسماعيل،١٩٨٦م،٣٤٦). إذ أنّ لكلِّ عمل فني مجموعة من العناصر والأجزاء لا يتكون إلا بموجبها وهذه العناصر ترتبط فيما بينها ارتباطًا قويًا، ولذا فإنّ الحكم بالجمال والقبح لا يتم على جزء من أجزاء العمل الفني بمفرده، وإنما يتم الحكم على إطار العمل الفني كلّه. (ينظر: إسماعيل،١٩٨٦م،٢٣٤)

ممّا تقدم يتضح أنّ القصيدة الشعرية وحدة تتألف من عناصر كثيرة يفترض أن تكون متماسكة ومتوازية من حيث الشكل والمحتوى بل يتداخل فيها الشكل والمحتوى على نحو لايمكن معه تصور كلّ منهما على حدة. (ينظر: إسماعيل،١٩٨٦م،٣٦٤)

ووفقًا لما تقدم فإنّ الشاعر يحرص على أن تكون قصيدته متوائمة في عناصرها التي شكلتها فلابدّ أن، تكون اللغة متوافقة مع الصور ومع الإيقاع ليتم له التماسك النصي، ولتكون القصيدة لوحة فنية معبرة شكلًا ومضمونًا، ولقد اعتمد البحث في دراسته على المجموعة الشعرية (أبواب الليل) لعبد الرحيم صالح الرحيم وهو شاعر من مواليد مدينة الديوانية – العراق ١٩٥٠ تُرجمت بعض قصائده إلى اللغة الإنكليزية، تُدرس قصيدته (قطار النجوم) في منهج الدراسة الأمريكية.

حوت مجموعته (أبواب الليل) أغلب قصائد الشاعر والتي تُعد صورة لذاته أودعها معاناته وآلامه وآماله وذكرياته، وطفولته فكانت بمجملها ترجمة لشخصيته. وقد ضمت هذه المجموعة الشعرية (١٣٧) قصيدة بين نتفة ومقطوعة وقصيدة تنوعت بين الشكوى والرثاء والغزل، وهاجس الموت، وذكريات الطفولة وأحلام الشباب.

ثانيًا: المهاد التطبيقي

١ـ اللغة الشعرية:

تُعد اللغة الشعرية المادة الأولية في عملية الإبداع الشعري، ولغة الشعر تختلف عن لغة الكلام المنثور، ولكلّ شاعر لغة شعرية تختلف عن باقي الشعراء ممّا يجعلها لغة نثرية جدًا.

إنّ اللغة الشعرية تمثل كيان الشاعر، وتعبّر عن حالاته النفسية التي عاشها وما زال يعيشها تجاه قضية ما(ينظر: سالمي،(د. ت)،١٣-١٦). وللغة الشعرية مميزاتها التي تميّزها عن غيرها فهي لغة قريبة من حياة الإنسان لها القابلية على التجدد، كما أنها بعيدة عن التقريرية ممّا جعلها أكثر جمالًا وعمقًا فضلًا عن أنّ الذاتية تُعد من أهم خصائصها(ينظر: العلوي،٢٠١٣م،٣٩). وتُعد اللغة الشعرية غاية لذاتها، وهي ذا وظيفة جمالية فهي لاتسعى إلى شيء خارجها إنّما تركز على القول نفسه .(ينظر: روفسكي،١٩٨٤م،٣٩)

ممّا تقدم يتضح أنّ اللغة الشعرية لغة خاصة لها استقلاليتها عن اللغة العادية وهي تعبير عن المشاعر والأفكار بشكل إيحائي وجمالي.(ينظر: عيد،١٩٨٥م،٨٧) كما يتحتم على الشاعر أن يرتفع باللغة عن عموميتها ويتحول بها إلى صوت شخصي(ينظر: العوادي،١٩٨٥م،٩) على الرغم من العلاقة الجدلية بين اللغة العادية والشعرية، إذ تُعد اللغة العادية بمثابة القاعدة التي يُقاس عليها مدى انحراف اللغة الشعرية. (ينظر: روفسكي،١٩٨٤م،٤٠)

ووفقًا لما تقدم فإنه يقع على المتلقي دور مهم في الكشف عن أبعاد النص الشعري إذ أن اللغة الشعرية تعني أنّ النص انزاح من التصريح إلى الإيحاء والتلميح(ينظر: مفتاح،١٩٩٣م،١٦)، وللاطلاع على اللغة الشعرية لشاعر ما توجّب علينا الإطلاع على معجمه الشعري والأساليب التي وظَّفها في كتابة قصائده الشعرية. إذ أن المعجم الشعري انعكاس لبيئة الشاعر وثقافته وتجاربه. ويشكل المعجم الشعري مجموع الكلمات ومرادفاتها التي تتكرر في النص الشعري والتي تحدد معنى النص أي أنّه وسيلة للكشف عن عالم النص الشعري.(ينظر: زغير،٢٠٢٤م،١٩)

وتتمثل قابلية الشاعر عن طريق اختيار الألفاظ وترتيبها بشكل مختلف عن الاستعمال العادي للغة(ينظر: الصباغ،٢٠٠٢م،١٣٤) أي أنّ دور الشاعر يكمن في اختار الألفاظ وتوظيفها بشكل يتجاوز معناها العادي إلى معاني عميقة معبرة دالة. وسنبحث في مجموعة (أبواب الليل) الشعرية ليتبين لنا كيفية توظيف الشاعر لها.

أـ ألفاظ الموت

كثرت ألفاظ الموت ومرادفاتها في مجموعة (أبواب الليل) وهذا يعود إلى مراحل الحياة التي عاشها الشاعر إذ أنّه عاصر عدة حروب مرَّ بها العراق فضلًا عن عقد التسعينات الذي مثل مدة الحصار الذي فرض على العراقيين والذي من خلاله تنفسوا رائحة الموت.

يقول الشاعر في قصيدة (دقات الخوف)(الرحيم،٢٠١٠م،١٥-١٦):

يُقالُ ....
أنّ الموت
تتقدمه دقات الطبول ...
دقات طبول خافقةُ ...
واحدة الإيقاع
تطوي الفلوات ...

ويقال
إنّ الحيات تسمعها ...
وأنّ الطير
تسكت حين يمرّ صداها
وتّضم الريح جناحيها
ويفيض الماء من الأشجار
وأنّ الأمطار ...
تهوي كالأحجار
وأنّ ...
وإنّ ...
آه ...
كم جاهدت بقلبي في الليل النائي طويلًا أن اسمع تلك الأصوات
حين تدق الساعة في خوف
تلك الدقات

رسم الشاعر في هذه الأبيات صورة ذاته التي تخشى الموت، بل تترقبه في حالة من التشتت والهلع ولذا وظَّف ألفاظًا تحمل معاني القلق والخوف (موت، دقات طبول، الحيّات، الطير تسكت، الليل النائي....) هذه الألفاظ بدت متوافقة وعنوان القصيدة (دقات الخوف) فضلًا عن أنها رسمت لنا صورة المترقب لشيء جسيم شغل الشاعر واستولى على فكره دون أن يراه .

إنّ أركان القصيدة (عنوانها، ألفاظها، صورها) شكلت لوحة فنية متناسقة لايمكن لنا الاستغناء عن أي مكون من مكوناتها.

وفي قصيدة أخرى يقول(الرحيم،٢٠١٠م،١٩):

وجه ...
يأتي في غبش الليل
أو قاع الليل ...
مثل السيل
يقتحم الأبواب
ويختار ضحيته دون عناء
وجه

نعرفه ...
لكن ...
أحد منّا لم يره
يتنكر أحيانًا في صورة اطلاقة
أو طعنة سكين
وجه
مشغول أبدًا
يخترق الآفاق كعاصفة سوداء
وجه
لا ندري
في أيّ زمان ومكان سنلاقيه
وبأي من أوجهه سنراه
في صورة إطلاقه
أم طعنة سكين

إنّ عناصر الخوف والقلق طاغية في القصيدة من مجهول اسمه الموت ممّا دعا الشاعر للتعبير عنه بلفظ (وجه) وجاءت الألفاظ متوافقة مع هذه اللفظة (غبش الليل، قاع الليل، يقتحم الأبواب، ضحية، إطلاقة، طعنة سكين ....) وهذه الألفاظ تثير فينا الخوف، وتنبأنا أنّ هناك شيء ما يسعى للإيقاع بنا، إنه السيل يقتحم الأبواب ليختار ضحيته، يأتي كعاصفة سوداء، مجهول لاندري متى وأين سنلاقيه.

لقد حرص الشاعر على أن يجعل قصيدته متوائمة في أطرافها عنوانًا وألفاظًا وصورًا لنطلع من خلالها على صورة الموت المرعب، إنها صورة مثيرة للهواجس، فالموت ليس له وجه معلوم.

ب ـ ألفاظ الحزن:

الحزن شعور يفقد الإنسان معاني الحياة ولربما كان مرافقًا للشعر العربي منذ نشأته وقد اتخذ أشكالًا عدة تمثلت في الحزن على فقد قريب أو صديق أو الحزن من الهوى وغيرها ولربما كان الشعر الحديث والمعاصر أكثر تضمينًا للشكوى من الهم والحزن، وهذا ما نلحظه في شعر عبد الرحيم صالح الرحيم إذ بثَّ ألفاظ الحزن والقلق في أغلب قصائده لتعبر عن تلك الذات المكلومة من ذلك قوله في قصيدته (نواح)(الرحيم،٢٠١٠م،٤٣):

في منتصف الليل
تخرجُ من صدري يوم
وتنوح بصوت مبحوح ....
تتلقفه الريح ...
وتنشره عبر دروب وممرات وسطوح ...
فيجاوبه في الحال
صوت يقتص رداء الليل الأخرس
بأنين مجروح
وسريعًا
يشتبك الصوتان
وينوحان معًا
عبر دروب الروح .

وسم الشاعر قصيدته بـ(نواح) والنواح كثرة البكاء والعويل، وهو أشدّ من البكاء، ثمَّ تأتي ألفاظ القصيدة لتعضد ذلك النواح (منتصف الليل، يوم، صوت مبحوح، أنين). تلك الألفاظ تتشابك فيما بينها لترسم صورة حزينة قاتمة، إذ أنَّ البوم يمثل رمزًا للشؤم، فهو نوع من الطيور يظهر ليلًا في الخلوات له صوت مخيف وهو مقترن بالليل(ينظر: دامبلي،٢٠١٩م،٨٨) غالبًا والليل مثيرُ للهموم الثقيلة فهو انعكاس للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر(ينظر: الخديري،٢٠٢٥م، ١) وقد وفق الشاعر بتوظيف منطقة الصدر مكانًا لذلك اليوم إذ أن الصدر مجمع الهموم، ثمَّ سرعان ما ينتشر صوت اليوم ليلتقي بأنين الشاعر فيشتبك الصوتان ليمثلا ألم الروح.

لقد بثّ الشاعر أحزانه وآلامه بشكل يجعل من المتلقي متعاطفًا معه وكأنه هو الآخر عاش تلك الأحزان وتحسس تلك الهموم.

نخلص ممّا تقدم إلى أن الشاعر استطاع بهذا التشكيل المتناسق أن ينقل لنا- ومن خلال معجمه الشعري- صورة ذاته الحزينة الممتلئة همًّا ولذا استطاع أن يجعل من المتلقي شريكًا له في معاناته.

٢ـ الأساليب:

إن الكلمة بمفردها لا تعبر عن شيء إلا إذا دخلت في سياق العبارة فاللفظة ليس لها قيمة بذاتها وإنما تكسب تأثيرها عندما تتلاحم في سياق خاص(ينظر: بزون،(د. ت)،١٨٢) ولذا فإنّ جمال المفردة أو قبحها يتوقف على مدى انسجامها مع ما يتصل بها من الكلمات

(ينظر: إسماعيل،١٩٨٦م،٣٦٨) أي أن النظم هو المعيار الذي به نتلمس اسلوب الأديب وكيفية توظيفه للغة ومقدار الإنزياح الذي تمارسه الألفاظ لتنتج لنا لغة شعرية يقاس من خلالها إبداع المبدعين. وسنقتصر في هذا البحث على اسلوبي الاستفهام والنفي في مجموعة (أبواب الليل) والتي كانت بارزة فيها:

أ ـ الاستفهام: وهو من الأساليب اللغوية المهمة والتي يراد منها طلب الفهم ويلجأ الشاعر لهذا الاسلوب لتحقيق عنصري الإثارة والاستجابة في ذهن المتلقي وقد ورد الاستفهام في شعر الشاعر بكثرة وبأدواته المختلفة من ذلك قوله((الرحيم،٢٠١٠م،٢٣):

الأشجار

الأشجار
هل تقلقها الأيام ؟
هل تأسرها الأحلام ؟
هل تتأمل إسرار الدب الأكبر في الليل
الأشجار
هل يفزعها المنشار ؟
وتفرحها الأمطار
هل تقرأ في خوف لغة الليل ؟
الأشجار
هل يسعدها الجذل الطائر من عصفور ؟
هل تشرب من ظمأ أول ومضات النور ؟
هل تبكي في صمت الليل ؟
الأشجار
في ساعات الوحدة والصمت الغامض
هل يرعبها التحديق
ببئر الليل

حملت القصيدة عنوان (الأشجار) وهنا نلمح تقنية التشخيص وهو "إضفاء انفعالات الكائنات الحية البشرية وسماتها على الأشياء"(وهبة–المهندس،(د. ت)،٣٧)، إنه وسيلة لتشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة(ينظر: قطب،١٩٨٨م،٥٧) إذ وصف الشاعر في هذه الأبيات الأشجار وصفًا جميلًا فقد شارك الأشجار بوجدانه وخياله الواسع، وكأنّما كانت الأشجار نفسُ الشاعر القلقة تتحسس ما يدور حولها

وتتفاعل معه. ولقد وظَّف الشاعر أداة الاستفهام (هل) والتي يُراد من الاستفهام بها هنا النفي فالأشجار لاتقلقها الأيام ولا تأسرها الأحلام ولاتتأمل النجوم ليلًا ولاتفزع من المنشار، ولاتحزن من الجدب ولاتفرح بالمطر....

وهنا تبرز الأنسنة عند الشاعر إذ لجأ إلى الأشجار ليطلعنا عن ذاته الحزينة الجامدة والتي فقدت التفاعل مع الحياة. فكانت القصيدة تعبيرًا جميلًا عمّا أريد لها ولذاكانت عبارة عن قطعة واحدة لايمكن اجتزاء أي جزء منها .

ب ـ النداء:

وهو التنبيه وحمل المتلقي على الالتفات(ينظر: المخزومي،١٩٨٦م،١٨)، ويُعد النداء من الأساليب المهمة والفاعلة في التهيؤ لما بعده إذ يجعل المنادى في حالة انتباه وتواصل فعّال مع المنادي(الأوسي،١٩٨٨م،٢١٨)، ولذلك كثُر النداء في شعر الشاعر ويبدو أن الحالة النفسية له دفعته إلى البحث عن تعاطف الآخر معه فضلًا عن التنفيس عن مكنونات الذات من ذلك قوله(الرحيم،٢٠١٠م،١٨٣)

هل من جدوى
ياصاحبة الحانة
تعبت يداي من التجوال
يداي تشققتا
وعظامي رقّت ...
قولي ياصاحبة الحكمة قولي ...
في أي شعاب الأرض أتيه
كي لا أشقى
ياصاحبة الحانة
لو كنت رأيت الصمتَ الجاثم فوق بقايا وجه صديقي
لوليت من الرعب فرارًا
وبكيت مرارًا
وجه صديقي يا صاحبة الحكمة هذا يتبعني كالظل
يقاسمني المنفى
قولي ياصاحبة الحكمة قولي
كيف أواريه المثوى

ياصاحبة الحانة
هات كأسًا طافحة أخرى
لا بل هات زقًّا مختومًا ودعيه أمامي
كي أنسى
هل من جدوى
ياصاحبة الحانة ...
مالك ساكتة
عيناي معلقتان على شفتيك
وحياتي بين يديك
قولي يا صاحبة الحكمة شيئًا
قولي
شيئًا

عنوان القصيدة يحيلنا إلى شيء مفقود لاجدوى من البحث عنه إذ أنّ الاستفهام في (هل من جدوى) استفهام إنكاري لايراد منه الجواب بقدر ما يراد منه التعجب ولذا لجأ الشاعر إلى نداء صاحبة الحانة ليلفت المتلقي إلى أمر ما وصاحبة الحانة رمز الخمرة والنداء موجه لها علَّها ترشده بعد أن تعبت قدماه وتشققت يداه حزنًا لموت صديقه إذ يرى في الخمرة ما ينسيه ولذا طلب زقًّا مختومًا ويعيد النداء مرارًا علَّه يجد في تلك الخمرة ما يسليه، إن النداء الذي لجأ إليه الشاعر يحمل دلالة الالتماس والاستغاثة عله يطفأ ظمأ الذات المنكسرة الباحثة عن بلسم لجروحها.

لقد وفق الشاعر في توظيفه النداء لاسيما أن النداء بـ(يا) يدلّ على حاجة المنادي لشيء ما. إن اختيار الشاعر للعنوان واستعماله الألفاظ المتوافقة معه ولَّد صورًا عبرت بشكل دقيق عمّا أراده المنشئ .

نخلص ممّا تقدم أن الشاعر حرص على أن تكون قصائده لوحات فنية متناسقة لا غنى عن جزء منها.

ثانيًا: الصورة الشعرية:

تُعرّف الصورة بأنها عملية تبادل بين الشاعر والمتلقي للأفكار والحواس من خلال قدرة الشاعر على التعبير عن هذا التفاعل بلغة شعرية تستند إلى المجاز أو الاستعارة أو التشبيه بهدف استثارة المتلقي واستجابته(ينظر:الخرابشة،(د. ت)،٩٧-٩٩)، والصورة الشعرية انعكاس

لفكر الشاعر وبها نحكم على أصالة التجربة الشعرية، وهي تمثل عواطف الشاعر ومشاعره وفي الوقت نفسه تحقق المتعة لدى المتلقي والتأثير فيه(ينظر: الخرابشة،(د. ت)،١٠١-١١٦)، وتأتي الصورة الشعرية بناءًا على قراءات الشاعر وثقافته ولذا تعددت مصادرها. وقد جاءت في مجموعة (أبواب الليل) من مصادر عدَّة :

١ ـ الواقع مصدرًا :

يشكل الواقع أهم روافد الفكر عند الشعراء، فالواقع الذي عاشه الشاعر بكلِّ تفاصيله ومشكلاته وتحدياته وصفاته يشكل مصدرًا غنيًا ومهمًا للصورة الشعرية(ينظر: مجد،(د. ت)،٦) ولاشك أن واقع الحياة من حروب وحصار وطبيعة كلّ ذلك أثر في شعر الشاعر، كما في قصيدته السد(الرحيم،٢٠١٠م،٣٣):

الأعداء قريبون
وأنا في آخرة الليل
اسمع صوت الفجر يدبُّ خفيفًا فوق الجبل
يوقظ أشجار البلوط ونبت الخباز وطير النبع
كان اليوم غزير المطر
(تركض في المطر ...
تمد يدًا ناحلة كالزهر
تغسل وجهك بالقطر
وتضج جنونًا بالمرح) ...
الأعداء قريبون
وأنا في آخرة الليل
أرقب قاع الوادي
القط البري يشاركني صحوي
ووميض النيران يضيع بومض البرق
تضحك حين تجنّ الدنيا
تخرج رأسك من شباك البيت
تلوح للبرق
وتدق بكعبيك على قلبي
الأعداء قريبون
والنبع هو الحد

يجري النبع رشيقًا وسريعًا
والنبع هو السد

(السد) هو عنوان القصيدة ولربما كان واحدًا من ألفاظ أرض المعركة أي أن السد هو الفاصل بين الجيشين ولذا حرص الشاعر على انتقاء الألفاظ المناسبة لها فكانت ألفاظه (الأعداء، فوق الجبل، صوت الفجر، وميض النيران، الحد) ينقل لنا الشاعر تجربته في الحرب بصورة قريبة من الواقع إذ أنه قريب من الأعداء وواجبه آخر الليل في يومٍ مطير يراقب الأعداء وقد اشتد وميض النيران واختلط بوميض البرق.

نلحظ في هذه الأبيات صورة قاتمة في يوم عسير تعاون فيه المطر مع نار الحرب ليجعل من ذلك الجندي يضحك جنونًا. إن هذه الصورة امتزج فيها الواقع بالخيال لينتج لنا لوحة فنية متكاملة عنوانًا وألفاظًا وصورةً أوصلها الشاعر بطريقة واضحة اتسمت بالبساطة والواقعية.

٢ ـ الأسطورة مصدرًا :

الأسطورة قصة تعتمد على أسس غير عقلية ولاشكّ أنها نتاج الخيال الأسطوري(ينظر: زايد،١٩٩٧م،١٧٥)، وقد تميز الشعر الحديث بتوظيف الأساطير والرموز إذ يستدعي الشاعر المعاصر بعض الأساطير للتعبير عن أفكاره أو تجاربه الشعرية(ينظر: إسماعيل،(د. ت)،٢٠٣). ومن هنا فقد التجأ شاعرنا لتوظيف الأسطورة في شعره أملًا منه في رسم الصورة التي أرادها خياله كما في قصيدته (أسوار الليل) (الرحيم،٢٠١٠م،٨٥) .

وحيدًا خارج أسوار الليل وقفت وحيدًا
الليل تناءى كالبحر أمامي
وغاصت في لجته أسرار الأنوار
وأسرار الأشجار– وأسرار الأحجار
وأسرار الأصوات المنبثة في الريح بعيدًا
قالوا أن الليل سيمنحك الحكمة والرحمة والقوة إن أنت وصلت إليه
لكنَّ مفاتيحي لم تفتح بابًا
وخارج أسوار الليل وقفت وحيدًا
وتربعت على الأرض كبوذي أرقب أنجمه تتغامز فوقي
ترسل نحوي صورًا تملأها الألغاز
وتهزأ من ضعفي

قلت لنفسي كيف سأعرف ذاتي إن لم أعرف سرّ المرآة وسرّ الظلمات الممتدة في عين الليل بعيدًا

ووقفت

أبحث عن باب توصلني باب النوم أو اليقظة

باب الأحلام أو الأوهام

ودرت يخطوي في كل الأرجاء وئيدًا

علّي ألمح بارقة أو أسمع صوتًا يكشف من أستار الليل حجابًا

وبقيت وحيدًا

المشهد صوفي تأملي بدءًا من (أسوار الليل) فهو عنوان يوحي بأن الشاعر خارج هذه الأسوار وكانت ألفاظه موحية بذلك (وحيدًا خارج أسوار الليل، غاصت الأنوار، مفاتيح، لم تفتح، همس الأشجار ، أزيز هوام الأرض، نوح البوم، البحث عن باب توصلني ..)

وقد وظف الليل بوصفه أسطورة للإجابة عن تأملاته وحيرته، فالليل مشكلة الإنسان ففيه يكون البشر ضعيفًا لذا تطور الخوف من الليل إلى خرافات وحكايات حتى أصبحت جزءًا من الأساطير.

إن حيرة الشاعر وتأملاته مثلها الليل بوصفه رمزًا للآله فهو من يمنح الشاعر الحكمة والرحمة والقوة إذ أن هذه المزايا لا يمنحها إلا إله . فحفيف الأشجار وصوت البوم وأزيز هوام الأرض كلها تأملات كونية أريد منها البحث عن الحقيقة ولا شكَّ أن توظيف الشاعر لأسطورة الليل مكنه من رسم الصورة التي عبرت بصدق عن ذاته الحائرة ولذا تشاكلت القصيدة فكانت كيانًا موحدًا.

٣ ـ الدين مصدرًا:

شكلّ الدين مصدرًا ثقافيًا مهمًا في رسم الصور عند الشعراء لا سيَّما الكتب المقدسة(ينظر: اطميش،١٩٨٢م،٢٣٢) إذ وظّف الشعراء العديد من صور وقصص وعبارات تلك الكتب في صورهم الشعرية من ذلك قول الشاعر في قصيدته (امسكني بيديك) (الرحيم، ٢٠١٠م،١٧) :

ربي

ربي انطفأت نارك

صار القلب حجارة

ربي لاتتركني

ماذا لو جفت أشجارك
في قلبي
ربي
كلّ عذاب الدنيا إلا هذا
ربي اشرح لي صدري
هبني قبسًا من نورك
فأنا أهوي ...
أهوي في هاوية العتمة والشك
ربي ...
ربي...
أمسكني بيديك

(أمسكني بيديك) يلفت انتباه المتلقي إلى أن الشاعر مهيأ للوقوع في شيء ما، ثمّ أن ألفاظ القصيدة تنبأ عن الحيرة والشك الذي يساور الشاعر شكّ في الدين (ربي انطفأت نارك، لاتتركني، جفت أشجارك، ...) لذا لجأ الشاعر إلى دعوة ربه (ربي اشرح لي صدري) مضمنًا قوله تعالى:((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) (الشرح:١).

فقد استثمر الشاعر هذه الآية القرآنية للتعبير عن ضائقة نفسية إزاء الشك الذي يراوده فالآية الكريمة نزلت بحقّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان مثقلًا بالهموم لبيان نعم الله تعالى على نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام أي أنّ الله عزّ وجلّ وسَّع صدر نبيه لشرائع الدين والهدى والإيمان ومعرفة الحق. وتوظيف هذه الآية أوحت لنا بما كان ينوء به الشاعر من الهموم ولذا قال: (هبني قبسًا من نورك).

إن توظيف النص الديني ساهم في رسم الصور الشعرية لدى الشاعر إذ جاءت قصيدته بكلِّ مفاصلها متساوقة لرسم الصورة الشعرية التي أرادها الشاعر.

نلحظ ممّا تقدم أن الشاعر استعان بثقافته لرسم صوره سواء كانت صور واقعية أو دينية أو أسطورية أو غيرها.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة سجل الباحث النتائج الآتية:

١ ـ كانت قصائد الشاعر انعكاسًا لذاته التي غلفها الحزن وأثقلتها الهموم إذ جاء النفس العام لشعره حاملًا طابع التشاوم.

٢ـ يُعد التشكيل الفني أداة من أدوات الشاعر لرسم قصائده بطريقة مشابهة للوحة الفنية .

٣ ـ حمل معجم الشاعر ألفاظ الحزن والموت والحرب والشك.

٤ ـ اعتمدت صور شعر الشاعر على ثقافته وتجاربه اليومية والحياتية .

٥ ـ جاء اسلوبه واضحًا سهلًا وألفاظه متوائمة مع عنوانات قصائده وأساليبه متوافقة مع صوره الشعرية.

مصادر البحث

- القرآن الكريم
- إسماعيل عز الدين، ١٩٨٦م، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت .
- إسماعيل عز الدين، (د. ت) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت.
- اطميش محسن، ١٩٨٢م، دير الملاك – دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد للنشر.
- الأوسي قيس إسماعيل، ١٩٨٨م، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، ط١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد .
- بدوي أحمد زكي،١٩٩١م، معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة والتشكيلية، دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتاب اللبناني – بيروت، ط١ .
- بزون أحمد، (د. ت)، قصيدة النثر العربية (الإطار النظري)، دار الفكر الجديد .
- الخديري، رشيد،٢٠٢٥م، الليل في الشعر العربي، المجلة العربية، ع٥٨٢، السعودية .

- الخرابشة علي، (د. ت)، وظيفة الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي، مجلة الآداب، ع١١٠.
- دامبلي مامادو، ٢٠١٩م، توظيف الطير في الشعر الجاهلي، عنترة بن شداد نموذجًا، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم .
- الرحيم عبد الرحيم صالح، ٢٠١٠م، أبواب الليل، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط١ .
- روفسكي يان موكا، ١٩٨٤م، اللغة المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة–ألفت كمال الروبي، مجلة فصول، ع١ .
- زايد علي عشوي، ١٩٩٧م، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة .
- زغير صفا تكليف، ٢٠٢٤م، التشكيل الفني في شعر منذر عبد الحر، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط .
- سالمي كنزة،(د. ت)، جمالية اللغة الشعرية في ديوان انطق عن الهوى لعبد الله حمادي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة خضير، بسكرة
- الصباغ رمضان، ٢٠٠٢م، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية .
- العلوي زهير، ٢٠١٣م، خصائص اللغة الشعرية من خلال بعض النماذج من قصيدة النثر التونسية، مجلة الحياة الثقافية، ع٢٤٤ .
- العوادي عدنان، ١٩٨٥م، لغة الشعر قراءة في الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد .
- عيد رجاء، ١٩٨٥م، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة
- قطب سيد، ١٩٨٨م، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت .
- مجد كلود عبيد،(د. ت)، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان .
- المخزومي، مهدي،١٩٨٦م، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط٢، بيروت– لبنان .
- مفتاح محمد، ١٩٩٣م، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط٣ .
- وهبة مجدي، المهندس كامل،(د. ت)، معجم المصطلحات الأدبية، لبنان– بيروت .

Research Sources

- The Holy Quran
- Ismail Ezz El-Din, 1986, Aesthetic Foundations in Arabic Criticism: Presentation, Interpretation and Comparison, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad.
- Ismail Ezz El-Din, Contemporary Arabic Poetry, Its Issues and Artistic and Moral Phenomena, Dar Al-Thaqafa, Beirut .
- Ismail Ezz El-Din, (n.d.) Contemporary Arabic Poetry, Its Issues and Artistic and Moral Phenomena, Dar Al-Thaqafa, Beirut .
- Atmeesh Mohsen, 1982, Deir Al-Malak - A Critical Study of Artistic Phenomena in Contemporary Iraqi Poetry, Dar Al-Rasheed for Publishing .
- Al-Awsi Qais Ismail, 1988, Methods of Request among Grammarians and Rhetoricians, Bayt Al-Hikma, 1st ed., Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Baghdad .
- Badawi Ahmed Zaki, 1991, Dictionary of Terms for Human Studies and Fine and Plastic Arts, Dar Al-Kitab Al-Masry - Cairo and Dar Al-Kitab Al-Lubnani - Beirut, 1st ed .
- Buzon Ahmed, (n.d.), Arabic prose poem (theoretical framework), Dar Al-Fikr Al-Jadeed .
- Al-Khudairy, Rashid, 2025 AD, Night in Arabic Poetry, Al-Arabiya Magazine, No. 582, Saudi Arabia .
- Al-Kharabshah Ali, (n.d.), The function of the poetic image and its role in the literary work, Al-Adab Magazine, No. 110 .
- Dambli Mamadou, 2019 AD, The use of birds in pre-Islamic poetry, Antarah ibn Shaddad as a model, Annals of Heritage Magazine, University of Mostaganem .
- Al-Rahim Abdul Rahim Saleh, 2010 AD, Doors of the Night, Al-Rafid Foundation for Publications, 1st ed .
- Rofsky Yan Muka, 1984 AD, Standard Language and Poetic Language, translated by Alfat Kamal Al-Rubi , Fusul Magazine, No. 1.
- Zayed Ali Ashwi, 1997 AD, Summoning Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo .
- Zaghir Safa Taklif, 2024, Artistic Formation in the Poetry of Mundhir Abdul-Har, Master's Thesis, College of Education for Humanities, University of Wasit .

- Salmi Kanza, (n.d.), The Aesthetics of Poetic Language in the Diwan Intaq An Al-Hawa by Abdullah Hammadi, Master's Thesis, College of Arts, Khadir University, Biskra .
- Al-Sabbagh Ramadan, 2002, In Criticism of Contemporary Arabic Poetry, An Aesthetic Study, Dar Al-Wafa for Dunya Printing and Publishing, 1st ed., Alexandria .
- Al-Alawi Zuhair, 2013, Characteristics of Poetic Language through Some Models of Tunisian Prose Poetry, Al-Hayat Al-Thaqafiya Magazine, No. 244.
- Al-Awadi Adnan, 1985, The Language of Poetry: A Reading of Modern Poetry in Iraq between the Beginning of the Twentieth Century and World War II, Publications of the Iraqi Ministry of Culture and Information, Dar Al-Hurriyah for Printing, Baghdad .
- Eid Raja, 1985, The Language of Poetry: A Reading of Modern Arabic Poetry, Alexandria Knowledge Establishment, Atlas Press, Cairo .
- Qutb Sayyid, 1988, Artistic Imaging in the Qur'an, Dar Al-Shorouk, Beirut.
- Majd Claude Obeid, (n.d.), The Aesthetics of the Image in the Dialectic of the Relationship between Fine Art and Poetry, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut-Lebanon .
- Al-Makhzoumi, Mahdi, 1986, In Arabic Grammar: Criticism and Guidance, Dar Al-Raed Al-Arabi, 2nd ed., Beirut-Lebanon .
- Miftah Muhammad, 1993, Analysis of Poetic Discourse (Intertextuality Strategy), Arab Cultural Center, 3rd ed .
- Wahba Magdy, Engineer Kamel, (n.d.), Dictionary of Literary Terms, Lebanon-Beirut .